

الأشياء بوصفها واقعاً مقررأ سلفاً. ويكون النص ثانوياً وتابعاً ومحاكياً، ويحكم عليه من هذا المنظور. فالعالم سابق على النص، واللفظ لا بد أن يطابق المعنى. وإنه لمن نعم الله أن هذا المفهوم لم يتغلغل في التجربة الإبداعية بوصفها ابتكاراً وإنشاء، وذلك لأن الابداع لا يمكن أن يتأسس على المطابقة والمشاكلة، ولو شاكل النص واقعه الخارجي لتحول إلى وثيقة وصفية وصار خطاباً علمياً أو تاريخاً. ولا ريب أن المبدعين يدركون ذلك تلقائياً، ولذا فهم قد ارتفعوا عنه تلقائياً. وليست المعضلة - هنا - لدى المبدعين ولكنها فحسب لدى المفكرين والنقاد. وتأثيرهم لا يبلغ المبدع، وإنما هو تأثير يفسد - وأفسد - النشاط القرائي، وأثر على علاقة القارئ مع النص. وحدث ظلم كبير ضد التجديد والتحديث بسبب ترسب تصورات (المشاكلة) وغلبتها على الذهن الثقافي. وجرى رفض أبي تمام من أهل المشاكلة كالآمدي ومن جاء بعده في خط طويل يمتد إلى المرزوقي شارح الحماسة. وكذلك صارت دعوات الرفض ضد الشعر الحديث، وهي تعود إلى غلبة مفهوم المشاكلة على عقول الرافضين.

ولقد التزمت بمصطلحات عربية تدل على ما أهدف إليه من مفهومات. ومصطلح (الاختلاف) يتردد عند عبد القاهر الجرجاني ليدل به على تحولات الدلالة الأدبية من واقعها المعطى، بوصف هذا الواقع عالماً اصطلاحياً متعارفاً عليه، إلى واقع جديد يتولد عن النص. وهذا التوالد هو اختلاف يفضي إلى ائتلاف وينتج عن تزاوج المختلفات داخل النص. وفي الفصل الأول والثاني تفصيل ذلك. ولا ريب أن ترديد مصطلح (الاختلاف) في واقعنا هذا